1974 - 11 نوار

بيروت الغرف وبيروت الانسان في اشياء مرزوق الصغيرة

■ الغرفة التي تحتضن الآمال ■

■ الطفولة التي يصعب فهمها ■

ابراهيم مرزوق (طفل واحد شارع البطريركية) يتذكر عالما مضى ايضا ولم يبق منه غير صور شبه واضحة في الذاكرة . انه عالم بيروت القديمة ، بيروت نواة المدينة شبه العصرية ، المدينة التي كانت تزاوج شرقيتها بالغرب الحديث . وبيروت قبل ركضها السريع المجنون نحو الشكل الغربي .

وعودة ابراهيم مرزوق او تذكره تنحصر في بيروت البيت ، بيروت الغرف وبيروت الانسان في بيته في اشيائه الصغيرة ، في ذوقه وفي ممارسته اليومية لتلك الحياة . انها بالتالي ايام الطفولة التي يصعب فهمها ويصعب تسيانها .

وبيت ابراهيم مرزوق ، او بالاحرى تلك الغرفة التي تقف عندها مخيلته ، مليئة بالرموز والاشارات، وبالحكايا والوشوشات الكثيرة . بالطبع انها ملتقى العائلة . سرير الولادة وسرير الموت . وسرير يجمع كل الاحزان والافراح وكل النمو البطيء واللحظات الغريبة . انها الغرفة التي تحتضن الآمال التي ولدت والامنيات التي انكسرت .

ويروي ابراهيم مرزوق هذه الذكريات عبر تلك الاشياء التي يرسمها : المرآة التي تتكرر في اكثر من لوحة . و « الصدفة » والمسبحة والسرير والطاولة المثقلة باشياء كثيرة ، واللعبة المنسية المرتمية باهمال وبعض الازهار .

عالم صامت ، لكنه كثير الوشوشة ، كثير التبدل . انه المرآة التي لم تعد مرآة ، بل اصبحت وجها وفردا من افراد العائلة . انها الام والزمن والشاهد الوحيد على النوايا والاسرار، تستريح في قلب الغرفة .

انها الغرفة باسرها تشطر العالم الى اثنين والوجه الى وجهين . تجسد الفرح وتجسد الحزن والخوف والراحة تنقلها من القلب وتربها للجميع . شاهد صامت حر ، يروي ويروي بلا تعب ولا ملل وبلا مشاعر . شاهد ظالم احيانا متواضع احيانا اخرى . انها المرآة ، الدهشة المليئة بالذات .

الى جانب المرآة ، تجيء « الصدفة » رمزا للجنس ، رمزا للانثى ، في ذلك الانغلاق السحري والانفتاح الخائف وفي تلك النعومة في الداخل والخشونة في الخارج « الصدفة » الوردية ، لون يشبه لون الرغبة ، يرسمها مرزوق بكثير من الحب والحنان ويسمح للاشياء الاخرى ان تمتزج معها، تكاد تبدو في عناق ساحر مع ما يحيطها من اشياء والعاب .

وتتكرر كذلك في لوحات مرزوق ، العاب الاطفال. تلك الوجوه البلهاء والشعر الغريب . الالعاب المتكئة المرمية باهمال في ارض الغرفة والتي تبدو احيانا انها الطفولة كلها .

الا ان هذا العالم ، مضى ، انه الان ذاكرة فقط حنين الى دفء وراحة وحب قديم . لذلك يبدو هذا العالم في لوحة مرزوق عالما متهدما ناقصا ممتزجا . انه ظل لصورة ما تزال تناضل ضد الموت امام هذا الدفق من الصور الجديدة التي تغزو المخيلة .

وتنتمي الوان ابراهيم مرزوق الى هذا العالم ايضا تكاد تبدو للعين انها الوان عتيقة ، الوان ليست حديثة الولادة ، بل الوان انقلها الزمن تخمرت وانطفأ فيها ذلك البريق . انها الوان تلك الغرف التي الفت الوان المساء او الشتاء : الرمادي ، والبني ، والاخضر القاتم . انها ايضا الوان الذاكرة التي لم تعد تتذكر انها الوان عدم الوضوح الكلي . وباختصار انها لون الحزن .

واذا كانت لوحة مرزوق ، محاولة تذكر لارضاء القلب . ولرد هذا الغزو المفاجىء فان اسلوبه في رسم اللوحة يمزج عدة اتجاهات . يجمع بين الواقعية والوحشية يصل الى السوريالية ويعود الى البداية والعفوية الطفولية ، ذلك لان العالم الذي يتذكره ، يجمع ايضا بين الحلم والواقع ، بين الطمأنينة والتعب ، بين الترتيب والفوضى .

وفي هذا العالم الصامت ، يطل انسان ابراهيم مرزوق شبحا يجيء من الماضي ، ينغلق على اسرار كثيرة ويخفي وجهه وراء اصغاء غامض ، وينحني على ذاته بكثير من الالم والاستسلام .

ذلك هو الماضي . فماذا عن المستقبل ؟

سمير الصايغ